تفريغ
الحلقة
3

"في أن نظام الأمر تقوى الله والعمل بطاعته"



تفريغ شرح كتاب

"مختصر سياسة الحروب"

للهرثمي

شرح الشيخ: قاسم الريمي

◆◆◆

الحلقة الثالثة

"في أن الأمر تقوى الله والعمل بطاعته"



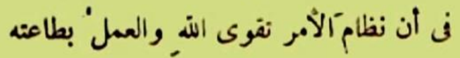
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله ومن والاه، أما بعد:

معنا الدرس الثالث ، وهو الباب الأول،

الباب الأول





فى أن نظام الأمر تقوى الله والعمل بطاعته

فينبغى لصاحب الحرب أن يجعل رأس سلاحه فى حربه تقوى الله وحده وكثرة ذكره ، والاستعانة به، والتوكل عليه، والفزع إليه ومسألته التأييد والنصر ، والسلامة والظفر (١) وأن يعلم أن ذلك إنما هو من الله جل ثناؤه لمن شاء من خلقه كيف شاء، لا بالأرب (٢) منه والحيلة ، والاقتدار والكثرة، وأن يبرأ إليه جل وعز من الحول والقوة ، فى كل أمر ونهى ووقت وحال ، وألا يدع الاستخارة لله فى كل ما يعمل به ، وأن يترك البغى والحقد ، وينوى العفو ، ويترك الانتقام عند الظفر (٣) ، إلا بما كان لله (فيه) رضى ، وأن يستعمل العدل وحسن السيره ، والتفقد للصغير والكبير مما فيه مصلحة رعيته ، وأن يعتمد فى كل ما يعمل به فى حربه طلب ما عند ربه عز وجل ، ليجتمع له به خيرا الدنيا والآخرة . فعسى قائل الآن أن يقول : فقد نرى البغاة الظلمة بأهل

قال:

"الباب الأول

في أن نظام الأمر تقوى الله والعمل بطاعته

فينبغي لصاحب الحرب أن يجعل رأس سلاحه في حربه تقوى الله وحده وكثرة ذكره، والاستعانة به، والتوكل عليه، والفزع إليه ومسألته التأييد والنصر، والسلامة والظفر، وأن يعلم أن ذلك إنما هو من الله جل ثناؤه لمن شاء من خلقه كيف شاء ، لا بالأرب منه والحيلة، والاقتدار والكثرة، وأن يبرأ إليه جل وعزّ من الحول والقوة، في كل أمر ونهي ووقت وحال، وألا يدع الاستخارة لله في كل ما يعمل به، وأن يترك البغي والحقد، وينوي العفو، ويترك الانتقام عند الظفر، إلا بما كان لله (فيه) رضى، وأن يستعمل العدل وحسن السيرة، والتفقد للصغير والكبير مما فيه مصلحة رعيته، وأن يعتمد في كل ما يعمل به في حربه طلب ما عند ربه عز وجل، ليجتمع له به خيرا الدنيا والآخرة، فعسى قائل الآن أن يقول: فقد نرى البغاة الظلمة بأهل العدل والإنصاف يظفرون، ونرى الكفرة بالله على أوليائه يُنصرون، فليعلم أن ذلك من تقدير العزيز الحكيم في خلقه، هو أعلم به من مكنون غيبه.

على أنه قد يكون ذلك الكافر الظالم إملاء واستدراجا، وللمظلوم الموالي نظرا وابتلاء، وإن العاقبة للمتقين.

فليتق ربه وليصدق يقينه، ويتجنب الظلم فإنه ظلمات يوم القيامة، مع ما ينال صاحبه من عاجل عقوبات الدنيا، ولا يعمل بشيء من كتابنا هذا ولا بغيره إلا بما كان لله فيه رضى، وبالله العصمة ومنه النصر".

طبعا هذا الباب الأول، تكلم فيه على موضوع تقوى الله عز وجل، وهذا أهم ما يوجد في هذا الباب، أقصد في هذا الكتاب، أهم ما في هذا الكتاب هو هذا المنطلق الذي انطلق منه، بل هو قال: "نظام الأمر تقوى الله والعمل بطاعته" ، نظام يعني جماع الأمر، شوف المسبحة منتظمة، كيف تجمعها مع بعض، نظام هذا الأمر، وتأليف هذا الأمر، واستقامة هذا الأمر، ومشيه بطريقة مستقيمة، وكيف يستقيم لك الأمر كامل، تقوى الله عز وجل، تقوى الله عز وجل والعمل بطاعته، العمل بطاعة الله عز وجل.

الأمر الأول، وهو الذي بدأ به وهو الأصل، الخشية لله عز وجل والطاعة، هنا في مسألة مهمة وهي منطلق العمل، هذه مسألة مهمة جدا، شوف بدأ بالخشية، وأن تجعل بينك وبين معصية الله عزوجل، إيش؟ حاجز تتقي به، ومسألة الطاعة، يعني انطلق من الأمرين ، تقوى الله عز وجل والعمل بطاعته، ولو رأينا إلى العسكرية اليوم، العسكرية اليوم كيف تنطلق؟ تنطلق من هذا المنطلق، أنه كل ضابط، يعني يأتي يبنولك الجندي، يعني بناء الجندي على السمع والطاعة لمن؟ للضابط الذي فوقه، والضابط هذا السمع والطاعة لمن؟ للذي فوقه، صح؟! ويبنون هذا الشيء على ماذا؟ على القوة والخشية والخوف، يبنوه على الرعب! طيب السمع والطاعة هنا بنيت لا على السمع والطاعة لله عزوجل وإنما السمع والطاعة لمن؟ للبشر، هل تلاحظوا أم لا؟!

فأول مسألة تعالج في الجيوش، هي مسألة الخشية من الدولة، الخشية من الضابط، الهيبة، و أول مسألة أيضا تعالج في هذا الموضوع، السمع والطاعة بدون أي نقاش، يقل لك نفذ ثم ناقش، هذا إذا سمح لك بالنقاش، وإذا سمح مش معناه يأخذ بحاجة

إسمها العدل أو المقصد الذي أنت تسعى إليه في الحق، لا، شي تناقش عادي، لكن شوف كيف المنطلق.

بينما نحن، نحن المسلمين منطلقنا أنه لا طاعة إلا بالمعروف، إيش معنى بالمعروف ؟ يعني شيء أمر به الله عز وجل، أو ليس مخالف لأمر الله عز وجل، هذا نعمل به، فانطلاقنا نحن أن الخشية لله عز وجل، وليست للمخلوق ، والسمع والطاعة لله عزوجل وليست للمخلوق، بعكس الجندية لدى العدو، الجندية لدى العدو يربي لك الجندي ويذله، الذل، ولهذا لماذا العسكرية، أول ما يدخل خمس وأربعين يوم، عملية إيش؟ عملية إعادة فرمتة، يجعله ذليل، يجعله خائف من حاجة اسمها ضابط، ويجعله ينفذ الأوامر، حاجة اسمها طاعة عمياء، هذا المنطلقين، من هنا تأتي مسألة العبودية، الجندية عندنا، العسكرية عندنا، تبني الرجل أن يكون عبدا لله، لكن العسكرية عند غير المسلمين، تبنيه على أنه عبد لمن؟ للبشر، من هنا نعيش مع قول ربعي بن عامر، عندما قال له: من أنتم؟ قال: نحن قوم ابتعثنا الله، لإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد. وهو شاف كيف يعبدوه أصلا، وكيف يسمعون له، لكن يقل لك نحن لا، انقطعنا من هذا الأمر، ولذا عندما يأتي آت ولو كان بلحية، ويبدأ يعطيك كيف التعامل مع الأمير، تعامل إيش ؟ بناء على القواعد الآتية: 1 ، 2، 3، القواعد التي هي من صنع البشر، ..

ما هي العبادة؟ إلا إيش؟ (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) قال ابن عباس –رضي الله عنهما–: إلا ليطيعون. وقول النبي ﷺ عندما قال لعدي ، أو عدي قال لرسول الله ﷺ ، إننا لم نعبدهم فقال ﷺ : "ألم يكونوا يأمروكم فيحلون لكم الحرام

فتحلوه ويحرمون عليكم الحلال فتحرموه!"، قال: بلى يا رسول الله، قال: " فتلك عبادتكم إياهم"، فمسألة الأمر عندنا مضبوطة، أن الأمر يجب ألا يكون مخالف عن أمر الله عز وجل، إذن الأمر مقيد بطاعة الله عزوجل، والخشية والتقوى هي من الله عزوجل، وليست ممن هو أمامك، واضح الصورة، عكس الجندية لدى (الآخرين)، فهو انطلق من المنطلق الأول، أن العمل قائم على خشية الله عز وجل وليس على خشية المخلوق، وقائم على طاعة الله عز وجل وليس على طاعة المخلوق، من هنا حضر الأمير أو لم يحضر عملي كله مائة في المائة، ليش ؟ لأن الخشية من الله وليست من الأمير الذي أمامي.صح أم لا؟!

وعندما يأمرني الأمير، ستجد أن الطاعة طاعة عظيمة جدا ، لماذا؟ لماذا ليست معصية فهي من طاعة الله عزوجل، لقول النبي ﷺ:"من أطاعني فقد أطاع الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني".

شفتوا المنطلق الذي انطلق منه، منطلق عظيم جدا، وهو منطلق أن مدار العمل هي تقوى الله عز وجل، والعمل بطاعته.

إلى هنا نكتفي وصلى الله وسلم وبارك على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم. وجزاكم الله خيرا.



بيت المقدس